مجلة البحوث والدراسات العلمية
جامعة يحيى فارس- المدية
Email : revue@univ-medea.dz

المجتمــع اليهودي في العهد الزيانـــي

أ . عبد الصمد حمزة
المشرف: أ.د. محمد بوركبة

كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية

جامعة وهران1 أحمد بن بلة

hamza.abdo1978@gmail.com :

Résumé

L'état Zianide a connu pendant sa occupation sur le Maghreb central, une forte existence des Dhemmis , des chrétiens et des Juifs, ou la présence a été limité en deux catégories, la première est les commerçants résidants aux quartiers spéciaux, qu'ils ont compliqué à les identifier ; puisque la majorité des documents nous a donné des informations restreintes dans leurs relations économiques et commerciales avec le pouvoir Zianide. Cependant elles ont ignoré sa vie et ses relations sociales.

Et la deuxième c'est la catégorie des ouvriers des palais et les prisonniers qui ont fait les travaux forces. Par contre la propagations des Juifs dans les villes et compagnes, ils ont participé aux domaine commercial et s'intègrent dans la société zianide, c'est pour ça on va étudier l'organisation de la société juive à la période zianide, ses traditions et coutumes, et leur habitations. Ainsi que démontrer des informations sur l'existence des chrétiens.

الملخص:

عرفت الدولة الزيانية خلال فترة سيادتها على المغرب الأوسط تواجدا هاما لأهل الذمة من مسيحيين ويهود، حيث انحصر التواجد المسيحي في فئتين: أولاهما هي فئة التجار المقيمين في أحياء خاصة تصعب من مهمة التعرف عليهم عن كثب واستقراء تركيبتهم الاجتماعية، حيث لا تورد معظم المصادر والوثائق المتوفرة إلا طرفا يسيرا من تعاملاتهم الاقتصادية وعلاقاتهم التجارية مع السلطة الزيانية، بينما تغض الطرف عن حياتهم وعلاقاتهم الاجتماعية. والفئة الثانية هي شريحة الخدم في القصور أو الأسرى القابعين في سجون الدولة والذين تقع على عاتقهم الأعمال الكبرى. بينما تواجد اليهود في المدن والأرياف وساهموا في المجال التجاري واندمجوا في المجتمع الزياني لذا سنتطرق في هذا الموضوع إلى تنظيم وتركيبة المجتمع اليهودي في عهد الدولة الزيانية وعاداته وتقاليده، وأماكن سكناه. كما نورد ما توفر من معلومات -على قلتها- عن تواجد العنصر المسيحي خلال هذه الحقبة.

الكلمات المفتاحية: الدولة الزيانية–اليهود–المسيحيون–تركيبة المجتمع

1. تركيب المجتمع اليهودي

وجد اليهود في بلدان المغرب الإسلامي ملاذا لهم من سطوة وبطش المسيحيين إثر قرارات الطرد المتلاحقة لهم من إسبانيا والدول المسيحية ابتداء من القرن الثامن هجري، الرابع عشر ميلادي، فاستقروا بها فأثّروا بذلك على تركيبتها الاجتماعية، إذ انقسم المجتمع اليهودي بعد هذه الهجرات إلى قسمين رئيسيين هما:

أ.**اليهود الأهالي**: وهم اليهود الأقدمون في البلاد أو لابسي العمامات baalé hamiçnefeth [1]، وأطلقوا على أنفسهم اسم "التوشابيم Tochabim" أي اليهود الأهالي[2]الذين مثلوا الأساس الاجتماعي لليهود في بلاد المغرب منذ أقدم العصور، ورسخت جذورهم في البلاد بسبب التسامح الكبير للمسلمين معهم مقارنة بمعاملة مسيحيي أوربا لهم أو البيزنطيين من قبل، باستثناء الموحدين الذين قوضوا عدة تجمعات يهودية في القرن السادس هجري، الثاني عشر ميلادي[3].

ب.**يهود الأندلس**: وهم اليهود المطرودون من الدول المسيحية بعد تراجع حكم المسلمين في إسبانيا وصدور قرارات الطرد الجماعية من طرف الملوك الكاثوليك[4]، فاستقروا بمختلف المدن الزيانية بعد الضغط الذي تعرضوا له من قبل القشتاليين والقطلونيين سنة 794هـ/1391م وتضاعف عددهم خلال سقوط غرناطة سنة 897هـ/1492م[5] فكان من بينهم رجال علم وأطباء ورجال ذوي سلطة ونفوذ ترجع أصولهم إلى الجزيرة الإيبيرية فأصبحت بلاد المغرب بالنسبة لهم أرض لجوء[6].

ويسمون "حاملي القبعات baalé el kipron "[7] أو الميغوراشيم Megorachim وتعني بالعبرية المطرودين[8].

والجدير بالذكر أن مملكة عبد الوادي هي التي استقبلت أكبر عدد من هؤلاء المهاجرين اليهود سواء كان ذلك من حيث النوعية أو الكمية بفضل التسامح الكبير الذي أبداه ملوكها تجاههم[9]، فكان يظهر لهم بأن قدوم هؤلاء بأعداد كبيرة لن يؤثر على المخزن العبد الوادي وسيعود عليهم بفوائد اقتصادية جمة[10]، ونفس الأمر بالنسبة للمجتمع المسلم الذي لم يسجل منه أي احتجاج ضد هجرة اليهود إلى بلادهم رغم استمرار هجرتهم إلى بلاد المغرب على مدى قرون من الزمن[11].

غير أن الظاهر أن علاقة المهاجرين الجدد بالجالية القديمة كانت غير منسجمة بسبب الاختلاف في اللغة والمذهب والعادات والمفاهيم الاجتماعية والمنافسة الاقتصادية، وخاصة منها الهجرة الكبيرة التي كانت سنة 803هـ/1400م التي أحدثت أزمة بين الجدد والقدماء فتدخل الحبر "إفرايم انكاوة Ephraïm Ankaoua" في مدينة تلمسان بين المتنازعين وقرب بينهما وكذلك تدخل كل من إسحاق بن شيشيت برفات Issac b.Sheshet Barfat وشمعون بن سماح دوران Simon b.Semah Duran في مدينة الجزائر[12](هذين الأخيرين كلفا تواليا من طرف السلطان الزياني برئاسة الطائفة اليهودية[13].

وباستثناء تونس أين احتفظ اليهود الأوائل باستقلاليتهم، استطاع القادمون الجدد السيطرة على إخوانهم في الدين في باقي مناطق المغرب[14].

2. توزيع اليهود حسب المناطق:

تتحدث المصادر عن خروج أكثر من 200 ألف يهودي –على الأقل– من إسبانيا في مرة واحدة سنة 1492م[15]، واستقر الكثير منهم في البلاد المغربية ولا سيما أراضي الدولة الزيانية –كما أسلفنا– بالإضافة إلى اليهود المستقرين سلفا بالبلاد. وأمام هذه الأعداد الهائلة فإنه من الصعب بمكان تحديد أماكن محددة لاستقرار اليهود وخاصة مع اندماج هؤلاء بالسكان المسلمين خاصة في المناطق الداخلية وممارستهم لحياة البداوة والترحال، لكن على العموم فإن المدن الساحلية هي التي ضمت أكبر عدد من اليهود خاصة المهاجرين منهم[16].

فأكثر المدن الزيانية التي استقر بها اليهود: مدينة تلمسان، ووهران[17] والجزائر وبجاية والغزوات ومعسكر وتقرت وواحة توات –التي طُرد يهودها من طرف الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي في ما بين 1488 و 1492م– والتي شكلت قوة تجارية قوافلية مهمة آنذاك، وكذا استقر اليهود بغرداية وتمنطيط والأغواط[18]. وأشير وندرومة والمسيلة وتاهرت ومستغانم ومزغران وهنين وتوجر وتنس ومليانة والمدية[19]، كما أبعدوا في التوغل نحو جنوب البلاد[20].

أما عن إحصاء بعض العائلات أو الأفراد المشهورين المستقرين في أرجاء الدولة الزيانية فنذكر على سبيل المثال لا الحصر:[21]

مدينة الجزائر: إسحاق بارشيشات بارفات وسيمون بن سماح دوران وعائلة بلخير والأشقر.

وهران :عمرام بن مرواس عفراتي.

المدية: سعدية دارمو.

تلمسان: أبراهام بن حقون وأفرايم أنكاوة وابن الأشقر.

مزغران: الاتزار ماينيش، بولاكس أنبروكس، امدازور اسحاق، بن ماندنن بن هارون.

تنس: فازواتي أبراهام ومايمو، بن هابران، بن برشون.

مستغانم: عائلة حيون وهارون، ومرزوخ، مالقي سليمان.

بجاية: بنيامين عمار موسى كوباي.

وكانت كثير من هذه العائلات من الحاخامات ذات التأثير الكبير بين زملائهم الذين طردوا من إسبانيا وجزر البليار.

ويروى أن السلطان الزياني أبو زيان بن أبي حمو موسى الثاني استقبل اليهود وأذن لهم بالنزول في مملكته، فمثلا في مدينة تلمسان أنزلهم بالربط من "أغادير" وبقوا هناك مدة من الزمن يمارسون شعائرهم الدينية وأعمالهم اليومية بكل حرية، ثم قربهم إلى مكان يعرف بالمرجة[22] قرب قصر المشور فبنوا به حيا خاصا بهم عرف "بالحارة" وكان يضم حوالي خمسمائة دار وكانوا يتمتعون بكثير من أنواع التسامح الديني ويقيمون شعائرهم بكل حرية في أمن ودعة وكانوا كلهم تقريبا أغنياء[23]. وكان لهذه الطوائف اليهودية خاصة بتلمسان مقبرتها الخاصة ولها بيعتها ورئيس يدير شؤونها يدعى شيخ اليهود، ويكون همزة وصل بينها وبين السلطات التلمسانية الرسمية والطائفية وكان يسكن حارة اليهود ما يزيد عن ألفين وخمسمائة نسمة جلهم من الأثرياء، وكانوا كالمسلمين يزورون أضرحة الأولياء الصالحين، لكنهم تعرضوا للنهب والمضايقة بعد وفاة

السلطان أبي محمد عبد الله (923هـ/1517م)[24] ولم يكن ليهود المغرب الأوسط الدور السياسي والاجتماعي الكبير مثل الذي قام به إخوانهم في المغرب الأقصى في عهد بني مرين إلا أنه كانت لهم مساهمة فعالة في الدورة الاقتصادية والحركة التجارية والصناعية، وشملهم عطف ملوك بني زيان ورعايتهم.[25]

3. المناطق السكنية:

1. اليهود:

مال اليهود إلى التجمع والعزلة ورفضوا الاختلاط بالمجتمعات التي يسكنون فيها تطبيقا إذ جعلت منهم اليهودية أمة مستقلة بذاتها ودولة داخل الدولة ومجتمعا منغلقا[26]، لذلك نجدهم قد اختاروا السكن بأحياء خاصة بهم في أنحاء دولة بني زيان، بالإضافة إلى الحماية التي تمتعوا بها من طرف ملوك هذه الدولة[27] الذين منحوهم حق السكن في تجمعات تضمهم وحدهم، بالرغم من أنهم لم يمنعوا من السكن في أحياء تضم المسلمين[28]، كما كان لهم حق التملك وحرية التصرف في أملاكهم يبيعون ويشترون الأراضي والفنادق والمنازل لدرجة أنهم جاوروا المساجد في بعض الأحيان[29].

وفي تلمسان ومع قدوم طلائع المهاجرين الميغوراشيم استقبلهم الزيانيون فأسكنهم السلطان أبو زيان بن أبي حمو موسى الثاني وأنزلهم بالربط من "أغادير" وبقوا هناك مدة من الزمن يمارسون شعائرهم الدينية وأعمالهم اليومية بكل حرية[30]. وبقى اليهود على هذه الحال إلى أن تدخل الحبر "إفرايم انكاوة" في نهاية القرن الثامن هجري، الرابع عشر ميلادي[31] لدى السلطان الزياني أبو العباس الملقب بالعاقل بعد أن عالج ابنته من مرض عجز الأطباء عن إيجاد علاج له فسمح لهم بأن ينتقلوا إلى داخل مدينة "تاكرارات" فسكنوا بجوار قصر المشور حيث استقروا في شماله وشرقه[32] على بعد حوالي عشرين مترا منه إذ كان هذا المكان يعرف بالمرجة وهو عبارة عن سبخة[33]. وسمي الحي الذي نزلوه بالحارة وكان يضم حوالي خمسمائة دار لليهود يسكنها ما يزيد عن ألفين وخمسمائة نسمة جلهم من الأثرياء[34].

وكان الحي يضم مرافق وخاصة البيعة المسماة "El Ghessaline" التي ينتظم حولها السكان اليهود كما هو الحال في كل تجمعاتهم[35]، إضافة إلى ممارستهم التجارة في الحي التجاري المسمى "القيسارية" المخصص للأوربيين أو اختلاطهم مع المسلمين في أحيائهم وأسواقهم ومزاولتهم الحرف المتنوعة[36]. وتجدر الإشارة إلى أن الجالية اليهودية في ظل الدولة الزيانية قد تمتعت بحق بناء البيع مثل البيعة المذكورة في مدينة تلمسان أو في مدن أخرى مثل منطقة توات الصحراوية والتي كانت سببا من أسباب ثورة الإمام المغيلي عليهم وقتله لكثير منهم[37] وكذا اتخاذ مقابر خاصة بهم مثل مقبرة اليهود في تلمسان الواقعة بمقبرة قباسة خارج باب القرمادين والمدفون فيها الحبر "أفرايم أنكاوة" والذي لا يزال قبره محط الرحال لليهود الذين يأتون لزيارته سنويا من أنحاء العالم[38]، وفي مدينة الجزائر حيث يوجد قبرا الحبرين "بارفات ودوران"–السابقي الذكر–

2. سكن المسيحيين:

منذ الفتح الإسلامي للمغرب فإن جل المسيحيين المتواجدين بهذه الأراضي قد غادروها نحو إسبانيا أو اليونان وإيطاليا[39] ولم يبق ببلاد المغرب منهم إلا القلة التي قضى عليها الموحدون بعد منتصف القرن السادس الهجري، الثاني عشر ميلادي، ولهذا لم تنعقد عند الموحدين ذمة ليهودي أو نصراني[40].

ومع ظهور الدولة الزيانية في المغرب الأوسط عادت بعض النشاطات المحدودة للمسيحيين الآتيين من أوربا والذين كانت إقامتهم داخل دولة بني عبد الواد مؤقتة ومثلوا أربع مجموعات وهم: –التجار –الجنود –الأسرى –رجال الدين.[41]

أما عن مناطق سكناهم في حدود الدولة فليس لدينا الكثير إلا فيما يخص إقامتهم في الموانئ التجارية على غرار وهران، هنين وتلمسان[42].

إذ يذكر المؤرخون أنه كان هناك حي تجاري يسمى القيسارية "Kaysariya" والذي أسسه أبو حمو موسى الأول[43] فوق مساحة واسعة داخل مدينة تلمسان مخصص للأعمال التجارية للمسيحيين، ومن بين هؤلاء نجد التجار البيزيين والجنويين والقطلانيين[44].. الذين كانوا يقيمون في الفنادق المخصصة لكل طائفة منهم (فندق القطلانيين، فندق الجنويين، فندق البنادقة...) والتي لم تكن مفتوحة على المدينة إذ يحيط بها سور، وأبوابها كلها متجهة للداخل تعلوها رايات الدول التي تتاجر مع تلمسان ومواجهة للميناء، وهي تحوي ساحة رئيسية تحيط بها السكنات، والمخازن، ومحلات البيع، ومكاتب القنصليات[45]التي يعتبر كل قنصل فيها ممثلا لجالية بلده ومسؤولا عنها وهو الوسيط بينها وبين السلطات المحلية، بالإضافة إلى وجود مرشد ديني وكنيسة، ومقبرة مسيحية داخل هذه الفنادق[46]. وتوجد في بعض العمارات (الفنادق) الحانات الخاصة بالتجار المسيحيين وكان لكل طائفة مسيحية مترجم مقابل مبلغ من المال[47].

بالإضافة إلى الجنود النصارى الذين كانوا عبارة عن ميليشيات في الجيش الزياني والظاهر أنهم كانوا ينزلون ثكنات تقع خارج أسوار المدينة، في أماكن تعرف بربض النصارى[48].

أما الأسرى المسيحيون فإن أعدادهم كانت كبيرة ويعدون بالآلاف خاصة إذا قام المسلمون بغزوات في أرجاء البحر المتوسط فإنهم يأسرون منهم أعدادا جمة أو حينما يغير المسيحيون على شواطئ الدولة الزيانية فيقعون تحت أسر قواتها، ويدخل في الأسر كذلك المرتزقة المخالفون للقوانين أو التجار المسيحيون الذين يرتكبون الجرائم ويقتاد جميع هؤلاء إلى سجون تلمسان، فيعملون كنجارين أو حدادين أو دهانين وعاملين في كل الحرف لذلك قابل أبو تاشفين الأول طلب الملك الأرغوني جاك الثاني بالرفض حينما طالبه بإطلاق سراح الأسرى مبررا رفضه بأن كل الأشغال والحرف تدار في دولته بواسطة هؤلاء.[49]

وقد صدر يوم 09 فيفري 1290م أمر البابا نيكولا الرابع إلى المسيحيين العاملين في خدمة السلطان والدولة الزيانية بتحريم التحول إلى الإسلام والبقاء على دين المسيحية[50]، لذلك احتاجت الجالية النصرانية إلى رجال دين يرافقونها للحفاظ على ديانتها وقد ضمنت السلطات الزيانية للمسيحيين المتواجدين على أراضيها حرية بناء الكنائس الصغيرة في الفنادق التي يقيمون فيها وهذا ما يؤكده صاحب المعيار :" جدد بعض النصارى كنيسة في فندقهم ولا عليها شيء يشبه الصومعة، فطلبوا بذلك، فأتوا بكتاب العهد، فوجدوا فيه أنه لا يحال بينهم وبين أن يبنوا بيتا لمتعبداتهم."[51]، وكان مسموحا لهم بإنشاء مقبرة لدفن موتاهم حسب طقوسهم الدينية، وكانت لرجال الدين مهمة إنسانية إلى جانب المهمة الدينية وهي افتداء الأسرى، ويتم الافتداء بمقتضى رخصة صريحة من طرف الوالي أو السلطان، وكانت مهمة هؤلاء القساوسة تتم تحت رعاية السلطة المحلية الرسمية حتى لا يتجاوزوا حدود صلاحياتهم ويتحولوا بذلك إلى مبشرين بالدين المسيحي في الأوساط الإسلامية لأن البابوية حملتهم مشروعا لإعادة النصرانية إلى ربوع المغرب[52]، وقد أوضحت المعاهدة الأرغونية التلمسانية المبرمة سنة 685هـ/1286م وظيفة الكاهن أو القسيس في هذه المعابد[53].

4- العادات والتقاليد:

أ. الطعــام :

بالعبرية "كاشروت" من الكلمة العبرية "كاشر" بمعنى مناسب أو ملائم وهي مجموعة القوانين الخاصة بنظام الأكل وطريقة إعداده وطريقة الذبح عند اليهود وهي قوانين مصدرها التوراة ويسمى الطعام الذي يتبع قوانين الكاشروت "كوشر" أي الطعام المباح أكله في الشريعة اليهودية[54]. أما كمية الطعام فهي تتعلق بمستوى معيشة الفرد، ويتناول اليهود في اليوم الواحد ثلاث وجبات، بينما تخصص وجبات معتبرة لمساء يوم الجمعة والاحتفالات والاجتماعات اليهودية[55]. وبمقتضى قوانين "الكاشروت" فإنه يحرم على اليهودي أكل أنواع معينة من الطعام ويباح له أكل أنواع أخرى، فالمحرمات تتعلق أساسا بلحوم الحيوانات لكن هناك بعض التحريمات الأخرى[56]، فيحرم شرب أي خمر أعدها أو لمسها شخص من الأغيار بل يحرم أيضا أكل خبز أو طعام أعده شخص من الأغيار حتى لو أعد حسب قوانين الطعام اليهودي. وهناك تحريم أكل الخبز المُخمّر في عيد الفصح[57].

وهم يحلون من الحيوانات ذوات الأربع، التي لها ظلف مشقوق وليس لها أنياب، وتأكل العشب وتجتر، فالخيل والبغال والحمير تحرم لحومها لأنها ليست ذات أظلاف مشقوقة، وكذلك الجمل لأنه ذو خف لا ظلف، وتحرم الأرانب لأن لها أظفار، ويحرم الخنزير بالرغم من أظلافه المشقوقة لأنه ذو ناب، وتحرم السباع كلها لأنها ذات مخالب وأنياب. وتحرم الطيور غير النظيفة التي تأكل الجيف والرمم مثل الصقر والنسر والبومة والحدأة والببغاء. [58]

ولا تحل الذبائح إلا بالطريقة الشرعية بعد تلاوة صلاة الذبح (الذبح الشرعي). كما يحرم أيضا أكل أجزاء معينة من الحيوانات، مثل عرق النسا، حيث يجب أن يزال من الحيوانات، كذلك يحرم أكل أجزاء من الحيوان الذي لا يزال حيا واللحم الذي لم يسحب منه الدم من خلال التمليح (غسل اللحم لمدة ثلاثين دقيقة –تصفية ما تبقى من الدم- تغطية اللحم بالملح لمدة ساعة- غسل اللحم مما تبقى من دم وملح). وبسبب الإجراءات المتشددة في عملية الذبح فيما يتعلق بالسكين وشروطه وكيفية الذبح وشروط الحيوان المذبوح حتى يشرع ذبحه فإن هذه المهمة لا يقوم بها إلا ذابح شرعي (شوحيط).[59]

أما الأحياء المائية فيحل منها السمك الذي له زعانف وعليه قشور، وفيما عدا ذلك فكل صيد البحر حرام حيث يمنع اليهودي من أكل الأسماك الملساء وأنواع الأخطبوط والجمبري والسرطان والمحار[60].

ويتشدد اليهود في وجوب الفصل بين أوعية اللحوم وأوعية الألبان إذ لا يجب الخلط بينهما البتة، ولا استعمال أواني اللحوم للألبان أو العكس.[61]

أما في الأعياد مثل عيد الفصح وعيد المظال وأيام السبت وعيد رأس السنة اليهودية وعيد التدشين وعيد النصيب...، فيتم تناول أطباق وأشربة مختلفة تتنوع حسب عادات اليهود المكتسبة في البلاد التي يقطنونها[62].

ويفضل اليهود تناول بعض الأطعمة في أيام الأعياد، منها الفطائر المختلطة بالخل والنبيذ والتي تدعى "بواريد"، وكذلك "الهريسة" المصنوعة من الدقيق واللحم المقطع، إضافة إلى الفطير المحشو بقطع الدجاج والفطر[63].

ومن أشهر أطباق يهود المغرب الإسلامي في يوم عيد الميمونة في شهر نيسان ذكرى تحرير بني إسرائيل من الأسر، السمك الطازج المغلف بأوراق خضراء والذي يزين بخمس حبات فول أخضر وخمس بيضات وخمس نقود فضية أو

ذهبية ثم يوضع السمك داخل الدقيق وأوراق الزهور وأعشاب خضراء وسنابل من القمح أو الشعير وحليب. كما أنهم يحضرون أنواعا عديدة من الحلويات من أشهرها بغرير بالعسل (موفليتة)[64]. .

وحسب التعاليم التلمودية فإنه يجب على العائلة اليهودية الاجتماع على طاولة الأكل وتلاوة صلاة المائدة وهي مجموعة أدعية تتلى قبل الأكل وينبغي على الشخص الذي يتلوها أن يضع على رأسه قلنسوة أو غطاء أو حتى طرف معطفه[65].

الصوم: ويدعى بالعبرية "تسوم" وتستخدم كلمة "تعنيت" مرادفا لها[66]، إذ يصوم اليهود في السنة أياما متفرقة وهذا الصوم مرتبط إما بأفراح أو بأحزان، أو لمناسبات خاصة عندهم ويكون صيامهم من العتمة إلى العتمة عن الشراب والطعام والنساء[67]. وأيام الصوم المفروضة على اليهود في كتبهم المقدسة هي ثمانية وعشرون يوما وهي:

– الثامن من طيبت: ذكرى ترجمة التوراة إلى اللغة اليونانية في عهد بطليموس.

– التاسع من طيبت: ذكرى موت عزرا.

– الثامن من شباط: ذكرى وفاة الأتقياء في زمن يشوع.

– الثالث والعشرون من شباط: ذكرى احتشاد بني إسرائيل للحرب ضد سبط بنيامين.

– السابع من آذار: ذكرى المشاحنة التي نشبت بين بيت هليل وبيت شماي، وقتل فيها ثلاثة آلاف نفس.

– السابع من آذار الثاني: لا يوجد سبب واضح لهذا الصوم.

– الرابع والعشرون من آذار الثاني: ذكرى اليوم الذي نقش فيه الهلينيون اسما لمعبود وثني على حجر تميم، كان منقوشا عليه قبل ذلك اسم الرب.

– الأول من نيسان: ذكرى موت ناداب وأبيهو ابني هارون.

– السادس والعشرين من نيسان: ذكرى وفاة يشوع بن نون.

– العاشر من أيار : ذكرى موت هالي وولديه واستيلاء الفلستيين(شعوب البحر)[68]على تابوت العهد.

– الثامن والعشرون من أيار: ذكرى وفاة النبي صمويل.

– الثالث والعشرون من سيوان: ذكر اليوم الذي أمر فيه يربعام بن نباط بني إسرائيل بالتوقف عن إحضار القرابين والأضاحي وأبكار نتائجهم إلى أورشليم.

– الخامس والعشرون من سيوان: ذكرى إحراق الربي حننيا بن تراديون.

– الأول من آب: ذكرى وفاة الكاهن الكبير هارون.

– الثامن عشر من آب: عندما أطفأ آحاز النور الغربي.

– السابع من أيلول: عندما قضى وباء الطاعون على الجواسيس الذين عادوا بتقاريرهم عن كنعان.

– الخامس من تشري: ذكرى وفاة عشرين من بني إسرائيل وذكرى إعدام عقيبا.

– السادس عشر من تشري: عندما قضي بموت الذين عبدوا العجل من بني إسرائيل.

– السادس من حشوان: عندما فقد الملك صدقيا بصره على يد نبوخذنصر بعد ذبحه لأولاده أمامه.

– السابع من كيسلو: عندما أحرق يهودي قسيم الوثيقة التي كتبها باروخ وأملاها عليه أرميا.[69]

وقد قرر الحاخامات صيام أيام أخرى منها الإثنين والخميس وهي الأيام التي تقرأ فيها التوراة في المعبد، وصيام أيام التكفير العشرة (بين عيد رأس السنة وعيد الغفران)...

بالإضافة إلى أيام خاصة كصيام اليهودي ذكرى يوم وفاة أبويه أو أستاذه وصيام العريس والعروس يوم زفافهما...[70]

ب. النظافة والطهارة:

يعود اهتمام الشريعة اليهودية الحاد بمشاكل الطهارة والنجاسة إلى محاولة اليهود دوما الفصل بينهم، هم المقدسون وبين الأغيار المدنسين، وتنص الشريعة اليهودية على عدة مصادر أساسية للنجاسة الشعائرية أهمها أجساد الموتى.[71]

والطهارة عندهم نوعان: طهارة الموضع الذي يصلون فيه من النجاسات ويكون خاليا من الصور والتماثيل، وطهارة الجسم: وهي نوعان، طهارة كبرى، إذ يغطس الرجل أو المرأة في الماء ثلاث مرات وذلك إن لمس اليهودي أو اليهودية جثة ميت، أو لمس حشرات، أو خنازير، أو الجنابة، وبعد الحيض والنفاس بالنسبة للمرأة[72]. ويضيف موسى بن ميمون إلى قائمة مسببات الغسل تغسيل الميت أو لمس مرضى الجذام وأنه يحرم على اليهودي الدخول إلى الكنيس من غير طهارة[73]، وطهارة صغرى يوميا وهي تشبه الوضوء الإسلامي، وتكون قبل تأدية فرائض معينة، وبعد أي شيء يسبب النجاسة، إذ يجب فيها استعمال الماء الطاهر –لا يجوز استعمال ماء البحر– فيبدأ بغسل اليدين ثلاث مرات قبل إدخالهما في الإناء، ثم يغسل كامل الوجه، ثم يتمضمض ثم يمسح وجهه بمنديل، ثم يتبع الغسل بسلسلة من الدعاء حمدا لله الذي أعطاه الماء طهورا[74].

وتنص الشريعة على ضرورة أن يغسل اليهودي يديه قبل الأكل أو الصلاة، وبعد الاستيقاظ من النوم، وبعد زيارة المدافن أو دخول دورة المياه.[75]

ج. اللباس:

من المعروف في شريعتنا الإسلامية إلزام اليهود بلبس معين وعدم التشبه بالمسلمين، فقد أورد ابن قيم الجوزية في كتابه أحكام أهل الذمة تفسيرا لحديث النبي–ﷺ–: «بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله لا يشرك به، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم» رواه الإمام أحمد في مسنده[76]، قوله: فأهل الذمة أعظم خلافا لأمره وأعصاهم لقوله، فهم أهل أن يذلوا بالتغيير عن زي المسلمين الذين أعزهم الله بطاعته وطاعة رسوله من الذين عصوا الله ورسوله فأذلهم وصغرهم وحقرهم حتى تكون سمة الهوان عليهم فيعرفوا بزيهم.[77]

وقد كتب عمر بن الخطاب إلى عماله في الأمصار الإسلامية في عهد الخلافة الراشدة عن لباس أهل الذمة "ألا يلبسوا لبسة المسلمين حتى يعرفوا".[78]

وسار على نهجه بعده الخلفاء والأمراء إلى عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي ألزمهم بلبس ملابس حقيرة تصنفهم عن المسلمين وكذا الخليفة العباسي المتوكل الذي أمر في سنة 235هـ أهل الذمة بلبس الطيالسة العسلية، وشد الزنانير، وعمل رقعتين على لباس مماليكهم مخالفتين لون الثوب كل واحد منهما قدر أربع أصابع ولون كل واحدة منهما غير لون الأخرى، وأما نساؤهم فتلبس إزارا عسليا ومنعهم من لباس المناطق[79].

ويبدو أنَّ الفقهاء رغبوا في إلزام اليهود بهذا الزي ليعرفوا بين المسلمين ولوضع حدٍّ لتجاوزاتهم وتطاولهم على الإسلام والمسلمين. ومن بين الفتاوى التي ألزمتهم بلباس معين وعدم التشبه بلباس كبراء المسلمين وأخيارهم فتوى "ابن عبدون التجيبي" في القرن السادس هجري: "يجب أن لا يُترك أحدٌ من المتقبلين، ولا من الشُّرَطِ، ولا من اليهودِ، ولا من النصارى، بزيِّ كبار الناس، ولا بزيِّ فقيه، ولا بزيِّ رجلٍ خيرٍ ... يجب أن تكون لهم علامة يُعرَفون بها على سبيل الخزي لهم[80].

إلا أن هذا لم يعمل به في كل عصور الدول الإسلامية إذ روي أن بعض اليهود كان يتمتع بحرية اللبس حتى أن لباسه كان يفوق لباس المسلمين بل يتشبه بأعيانهم وأمرائهم[81].

وفي عهد الدولة الزيانية استمر أهل الذمة في لبس ثياب صفراء اللون بأكمام واسعة طويلة، وتقلدوا قلانس تشبه البرادع تصل إلى تحت آذانهم وهو اللباس الذي فرضه الموحدون عليهم في عهد أبي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن إلا أن لونها كان أسودا فغيره ابنه أبي عبد الله إلى اللون الأصفر بطلب منهم[82]، ويورد الحسن الوزان أنه رآهم في تلمسان حاضرة الزيانيين يضعون على رؤوسهم عمامات صفراء[83].

كما كان يحظر عليهم لبس الأثواب ذات اللون الأخضر لأنه اللون المميز للمسلمين[84]، وكذا الالتزام بعدم التعمم (لبس العمامة) لأنه من مميزات أشراف المسلمين[85].

أما عن النعل فإنه كان لا يختلف كثيرا عن نعل المسلمين فيلبسون البلغة وهي نعل أصفر اللون وهو لباس أهل الريف وبعض أهل المدن[86]. إلا أن بعض اليهود يذكرون أنهم قد أجبروا في هذا العهد من طرف المسلمين على المشي حفاة عند خروجهم من الأحياء الخاصة بهم[87].

أما في الصلاة فقد فرض اليهود على أنفسهم ارتداء "الطاليت" وهي كلمة عبرية تعني شال الصلاة، وهو شال يرتديه اليهود أثناء صلاة الصبح وفي كل الصلوات الإضافية وفي عيد الغفران وخاصة صلاة النذور إلا في التاسع من آب حيث لا يرتدونه إلا في صلاة الظهيرة منه[88]. وهم يلتزمون بأمر الله لهم في التوراة كما يقولون :"وقد أمرتنا بأن نلبس الطاليت". وهذا الشال يكون من الحرير الأبيض أو الصوف وفي زواياه حلية وزينة وخاصة عند طاليت الكهنة الموشى بالذهب ويلبس هذا الشال كذلك العريس في ليلة زواجه كما ويكفن بهم ميّتهم[89].

كما ألزمت المرأة اليهودية بوجوب تغطية رأسها عند الخروج، فإذا خالفت ذلك فهي معرضة للطلاق إذا كانت متزوجة أو عدم الزواج إذا كانت عزباء[90].

أما رجل الدين فإن لباسه كان خاصا إذ يلبس جلبابا أسودا ومعطفا ذا غطاء للرأس ضخما (Copate) أو برنسا تفتح أكمامه عند الكوع حتى المعصم، وصدرية طرز بأربعين زرا وسروالا من قماش خفيف أو من الصوف الرمادي أو الأسود، وكذا عمامة سوداء فخمة[91].

خاتمة:

بعد هذه النظرة حول التواجد اليهودي في العهد الزياني نرى أن اليهود حاولوا الانسجام مع المجتمع مع محافظتهم على عاداتهم وتقاليدهم التي توارثوها منذ القديم، وقد انقسموا في ذلك العهد إلى أهالي ومهاجرين اندمجوا مع مرور الأيام مع بعضهم البعض، فشكلوا كتلة واحدة، هذا مع انتشارهم على كامل المدن الجزائرية خاصة الساحلية منها، نظرا لما كانت تدره عليهم من عائدات مالية، ووجود البعض منهم الذين فضلوا المدن الداخلية لأسباب مختلفة، وقد حافظ اليهود على انتظامهم في تجمعات سكنية موحدة تسهل عليهم القيام بطقوسهم الدينية بصفة منتظمة وتجنب الاحتكاك مع المسلمين، هذا وقد كانت لليهود عادات خاصة بالطعام واللباس غير أنهم تأثروا بالعادات الغذائية ولباس المجتمع الذي ساكنوه لمدة قرون.

الهوامش

[1]) Garrot Henri, Les Juifs Algériens-Leurs origines-, Librairie Louis Relin, Alger, 1898, p36.

-2) Eisenbeth. M, Les juifs en Algérie, esquisse historique depuis les origines jusqu'à nos jours, Extrait de L'encyclopédie Coloniale et Maritime, Paris, sd, PP 8-9.

-3) Dhina Atallah, Le Royaume Abdelouadide à l'époque d'Abou Hammou Moussa 1er et d'Abou Tachfin 1er, OPU, Alger, sd, P 55.

-4) Ibid, P55.

عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر، الجزائر، د.ط، 2007، ج1، ص193. [1]

-5) Dhina.A, op.cit, P55.

-6) Garrot. H, op.cit, P36.

-7) Eisenbeth, op.cit, PP 8-9.

8- برنشفيك روبار، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13إلى نهاية القرن15م، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1988،ج1، ص434.

-9) Dhina.A, op.cit, P55.

10- برنشفيك، المرجع السابق، ص ص433، 434.

11-(Dhina.A, op.cit, P55. برنشفيك، مرجع سابق، ص434

-12) Jean Laloum et Jean-Luc Allouche, Les Juifs d'Algérie –images et textes-S.D, Edition du Scribe, France, P 12.

-13) Garrot. H, op.cit, P36.

-14) Zafrani. Haïm, Juifs d'Andalousie et du Maghreb, Maisonneuve et Larousse, Paris,1996, P214.

15- برنشفيك، مرجع سابق، ص431.

16-(Alfred Bel, Tlemcen et ses environs: guide illustré du touriste, Toulouse, sd, PP 134-135.

17- فوزي سعد الله، يهود الجزائر - هؤلاء المجهولون، دار قرطبة، الجزائر، الطبعة الثانية، 1426هـ/ 2005م، ص 102.

18-) Garrot.H, op.cit, P36 برنشفيك، مرجع سابق، ص432؛

-19) Dufourcq.Ch.E, Les relations de la péninsule Ibérique et l'Afrique du nord au XIV siècle, anuario de estudios medievales, instituto de historia mediaval de Espana, Bercelona, 1970-1971, P60.

-20 انظر عن أسماء العائلات والأفراد Eisenbeth.M, Les juifs de l'Afrique du Nord –démographie et onomastique, Imprimerie du Lycee Alger, 1936, P77-189; Dhina.A, op.cit, P 246-250; Garrot.H, op.cit, P36; Dufourcq.Ch.E, L'Espagne catalane et le Maghreb au XIII et XIV[e] S, Paris, 1966, P325.

21- شاوش محمد بن رمضان، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011، ج2، ص41.

22- الوزان، حسن، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1983 ج2، ص 20.

23-(Marçais. G, Tlemcen, les villes d'arts célèbre, Paris, Librairie Renouard, 1950, P 36 .

-24دهينة عطاء الله، الحياة الاقتصادية والاجتماعية لدولة بني زيان، ضمن كتاب الجزائر في التاريخ، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص490.

-25) Isidore Loeb, réflexions sur les Juifs, revue des études juives, La librairie A.Durlacher, Paris, T28, 1894, P163.

-26) Dhina, le royaume Abdelouadide. op,cit, P56

27- الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، ج8، تحقيق محمد حجي وآخرين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1401هـ/1981م، ص437.

28- المصدر نفسه، ج7، ص52.

29- عبدلي لخضر، التاريخ السياسي والحضاري لدولة بني عبد الواد، ابن النديم للنشر والتوزيع، وهران، ط1، 2011، ص200.

-30) Dhina.A, le royaume Abdelouadide, op.cit, P57.

31- الوزان، مصدر سابق، ج2، ص20، Bel.A, op.cit, P134.

-32) Darmon, origine et constitution de la communauté Israélite de Tlemcen, Revue Africaine, OPU, Alger, V14, N°79, 1870, P379.

33-الوزان، المصدر السابق، ج2، ص20. مارمول كاربخال، إفريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرين، دار نشر المعرفة، الرباط، 1408-1409هـ/1988-1989م، ج2، ص298. وتسمى هذه الحارة "درب اليهود" (انظر ابن مريم أبو عبد الله محمد بن مريم التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1326هـ/1908م، ص269.) ولا تزال هذه التسمية إلى وقتنا الحاضر.

-34) Darmon, op, cit, P378.

-35) Bouziane-Oufriha Fatima-Zohra, Tlemcen capitale musulmane le siecle d'or du Maghreb central, Essai, Editions Dalimen, dans le cadre de "Tlemcen capitale de la culture islamique 2011", 2011, P325.

36- المغيلي، محمد بن عبد الكريم، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تحقيق عبد المجيد الخيالي ضمن كتاب رسالتان في أهل الذمة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1421هـ/ 2001م، ص 47.

37- شاوش، باقة السوسان، مرجع سابق، ج2، ص41.

-38) Barges.J, Tlemcen, ancienne capitale du royaume de ce nom, Paris, 1859, P 120.

-39 المراكشي، المعجب، ص383.

-40) Dhina.A, le royaume Abdelouadide, op, cit, P60.

-41) Ibidem, P60.

-42) Brosselard. GH, Coudée royale in Revue Africaine, T4, N°19, Année 1859-1860, OPU Alger, 1860, P66-71.

-43) Bouziane-Oufriha, Tlemcen, op, cit, P343.

-44) Dhina. A, le royaume Abdelouadide, op, cit, P60.

-45) Dhina.A, Les états de l'occident, op, cit, P380.

-46.485 دهينة عطاء الله، مرجع سابق، ص-

47- فيلالي، مرجع سابق، ج1، ص125.

-48) Verlinden.Cf, L'Esclavage dans le monde ibérique médiéval, in anuario historia derecho espagnol, XI, 1934, T1, P180, Dhina, le royaume abdelouadide, P62, فيلالي، تلمسان، ج1، ص152

-49) Mas-Latrie.M.L, Traités de paix et de commerce et documents divers concernant les relations des chrétiens avec les arabes de l'Afrique septentrionale au Moyen-age, J.BAUR et DETAILLE, Libraires, Paris, 1872, P98.

50- الونشريسي، المعيار، ج2، ص172.

51- فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، ص192.

52-المرجع نفسه، ص ن.

53- غازي السعدي، الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، دار الجليل للنشر، عمان، ط1، 1994، ص67.

-54) Israël Abrahams, Jewish life in the middle ages, The Macmillan Company, New York, 1896, P150.

55- المسيري عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الثاني، الجزء الأول، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، 2006، ص 49.

56- المرجع نفسه، ص 49.

57- غازي السعدي، مرجع سابق، ص64-65.

58- المسيري، الموسوعة، م2، ج1، ص 49، 50

59- غازي السعدي، مرجع سابق، ص65.

-60) Abrahams, op, cit, P 146.

61- انظر عن هذه الأطباق المتنوعة، المسيري، الموسوعة، م1، ج2، ص: 299-301.

-62) Ashtor Eliyahu, The Jews of Moslem Spain, Philadelphia, 1979, vol.3, p.158;

Chouraqui,)-63 Marche vers l'accident, les juifs Afrique du nord, Paris, PUF, 1952, p217

انظر بوعمامة، يهود المغرب الإسلامي، ص147.

64-) Abrahams, op. cit, P279

65- المسيري، الموسوعة، ج2، م1، ص52.

66- أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، الجزء الأول، دار الغد الجديد، القاهرة، الطبعة الأولى، 1427هـ/2007م، ص199.

67- المسيري، الموسوعة، م1، ج2، ص 394.

68- محمد الهواري، الصوم في اليهودية، دار هاني للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1408هـ/1988م، ص53-55، عبد الرزاق رحيم صلال الموحى، العبادات في الأديان السماوية، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، 2001،، ص 106.

69- المسيري، الموسوعة، م2، ج1، ص 52.

-70 المسيري، الموسوعة، م2، ج1، ص55.

71- بوعمامة، اليهود، ص102، انظر عبد الرزاق الموحى، العبادات في الأديان السماوية، ص77.

72- موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، تحقيق حسن آتاي، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، دت، ص681-683.

73- بوعمامة، اليهود، ص102، انظر كذلك الموحي، العبادات، ص81.

74- المسيري، الموسوعة، م2، ج1، ص68.

75- حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد في مسنده تحت رقم (2/50 و92)

76- ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، تحقيق: يوسف البكري وشاكر العاروري، رمادي للنشر، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1418هـ/1997م المجلد الأول، ص1264.

77- نفسه، ص 1262.

78- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، مراجعة وتدقيق محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1407هـ/1987م، المجلد السادس، ص 106.

79-محمد بن أحمد بن عبدون التجيبي، رسالة في القضاء والحسبة، تحقيق فاطمة الإدريسي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1430هـ، 2009م، ص 113-114.

80- مثال ذلك بن عطاء اليهودي في الدولة الزيرية والحكيم بن قنبل في أواخر الدولة المرينية، انظر الونشريسي، المعيار، ج2، ص 254,

81- المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، لجنة إحياء التراث الإسلامي، المملكة العربية المتحدة، 1963، الكتاب الثالث، ص383. فيلالي، مرجع سابق، ج1، ص270.

82- الوزان، مصدر سابق، ج2، ص20.

Abrahams.I, op, cit, p 285.)-83

Ibidem: p 283.)-84

85- عطا أبورية، اليهود في ليبيا وتونس والجزائر، إيتراك للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2005، ص217.

-86) Abrahams, op. cit, P289.

87- غازي السعدي، المرجع السابق، ص64.

88- المسيري، موسوعة اليهود، م2، ج1 ص69. غازي السعدي، المرجع السابق، ص 64.

-89) Abrahams, op. cit,P 281.

90-(Chouraqui, Les Juifs de l'Afrique du nord, P65 انظر كذلك، عطا أبو رية، مرجع سابق، ص215.